قصة مصرية

راهبة بلا دير

للأستاذ إدوار حنا سعد

كان ظهور حمدى فجأة فى أفق حياة سنية إعصاراً مدمراً قلب كل شىء وجعلها تضيق بحياتها وتسأل نفسها فيمَ إصرارها على العزوبة وفيمَ تحاشيها للرجال . وأخذت تستعرض صور حياتها التى تجردت من كل ما يبعث فى النفس البهجة ، وأطياف ماضٍ كان حافلاً بالأسى والحزن .

إنها عندما وُلدت ووطأت قدماها الصغيرتان شاطىء الحياة أقلعت سفينة الموت تحمل أمها بين الراحلين ، والذين حضروا ساعة الميلاد ورأوا أضواء الحياة ترقص فى عينى الطفلة البريئة وظلال الموت تجثم على وجنتى الأم الشهيدة ، أحسوا فى بكاء الطفلة رثاء لأمها وندباً لحظ وضع عليه اليتم ميسمه .

غير أن السماء لم تكن قد أرادت بسنية يتماً كاملا ، فقد أبقت لها أباها العطوف وجعلت من شقيقتها الكبرى (إنعام) ملاكاً حارساً يملأ بنور الحنان لياليها ويجعل بزهر العطف أيامها وينسيها ما استطاع مرارة اليتم وشقوة الحرمان . وكانت إنعام تحس — وهى ترعى شقيقتها الطفلة — زهو الأمومة المبكرة وسعادة الوفاء بالجميل نحو أمها التى كانت دنيا من الشباب والحسن والعطف فلم يبق منها إلا صورة معلقة على جدار ، وقبر نائى المزار ، وذكرى ما تزال تغدو فى خيالها وتروح .

وتوالت مواكب الأيام ومرت على البيت الصغير وسنية سادرة فى غى الطفولة وإنعام حالمة أحلام الشباب ، وأبوهما منصرف إلى عمله الذى يستغرق سحابة أيامه وصدر لياليه .

وأخذت الطفلة تنمو وتترعرع وبدأت النشاوة تنجاب عن عينيها وعرفت أن إنعام ليست أمها بل شقيقة وافرة الحنو . على أن ذلك لم يقلل من حبها للبنوى لها ، بل لعله زاد عنفاً واتسع أفقاً ، وأصبح نوعاً من العبادة الصامتة وعرفان بالجميل وأخذ يطغى عليها الشعور بالرغبة فى خدمتها وتوفير الراحة لها .

* * *

إن سنية الآن عذراء وافرة الأنوثة قد لمس الحب قلبها لأول مرة ، وإنها لتستعرض حياتها الجرداء التى ولت هباء لم يورق فيها الحب من قبل ، وتذكر أنها كانت فى الثانية عشرة من عمرها حين تقلدت المنار عقود الزهور وفرقت عليها الأعلام وتوافد الناس وعزفت الموسيقى معلنة أن حياة إنعام قد ارتبطت بحياة رجل كان غريباً فأضحى أقرب إليها من كل قريب . ثم هى تذكر أنها كانت فى الثالثة عشرة من عمرها حين اتشحت المنار بالسواد وتوافد الناس وتعالت الأصوات بالندب والبكاء معلنة أن الأب الحزين قد لحق بالزوجة الراحلة .

ومنذ ذلك الحين أقامت سنية بصورة مستمرة فى بيت إنعام وأخذت عيناها تتفتحان على أمور كثيرة غريبة . رأت سامى زوج أختها قد أشهر الحرب على زوجه وساقه إلى ذلك طمعه فى الميراث الضخم الذى خلفه أبوها وأطمعه فيها ضعفها وقلة حيلتها وانفرادها ، فما كان لها من الأقارب إلا عم يقيم فى السودان . وكانت إنعام مضطرة إلى مداراته وإعطائه ما يطلب ، وأسرف فى شرب الخمر وساءت أخلاقه وزاد طلبه للمال ، والمال كماء البحر كلما شرب منه الإنسان زاد عطشه وكانت الزوجة البائسة تسرف فى البكاء والتفكير إسرافها فى منحه المال ، وكانت تشحب وتزداد نحولاً بالرغم من تأكيد الطبيب بأن ضعفها يضر بالجنين الذى كان يتحرك فى أحشائها .

وعلى صدر سنية كانت تنهدات إنعام تتراءى فى يأس مرير فتجد لها فى ذلك الصدر الشفوق صدى وبلسماً ؛ ولطالما مرَّ الليل أوائله وأواخره على الشقيقتين كبراهما تقول بشجوها وتبكى ، والصغرى تحاول أن تمسح بيد العزاء أحزاناً قاسية حتى إذا أجهدها ذلك فيئست أخذت تبكى فعانقتها أختها وتعانق الدمع فوق خدود لم تخلق للدموع .

وكانت إنعام تزداد نحولا ، وسنية تزداد بغضا لسامى وللرجال على وجه العموم ، وساعد على ذلك أنها لم تكن قد خبرت من الرجال إلا أباها ، وكان على حنانه كثير الانصراف إلى عمله ، وإلا هذا الرجل النذل الذى استغل ضعف امرأتين فأقبل يسرقهما كلما طاب له أن يسرق ، وساء ظنها فى الرجال ، ولم تكن هى اللومة على أية حال .

وتتابعت أمواج الذكريات على خيال سنية وهي ساهدة تفكر وتذكرت كيف أبى القدر إلا أن يكرر المأساة في هذه الأسرة للمرة الثانية في تاريخها القصير ، فعندما أنجبت إنعام صغيراً جديداً في ذلك النزل ، غادرته هي على الأعناق ، وكان هذا المولود فتاة هي عدالات .

* * *

تولى الأستاذ عبد المجيد القليني المحامي الكهل الشهير ، شؤون الوكالة عن سنية وإدارة أملاكها ، وكان رجلا أميناً ، وزاد من عطفه عليها عرفانه بجالها وصداقته القديمة الوطيدة لوالدها . وتفرغت هي إلى تربية عدالات والقيام بذلك الواجب المقدس نحو أختها والوفاء بذلك الدين القديم .

إن التاريخ قد أعاد نفسه سريعاً والحنان الذي شربته سنية من يدي إنعام قد عادت تسقيه إلى ابنة إنعام ، وأنحت لها هذه الطفلة الجميلة بمثابة الكأس والخمر والحلم والنور الذي أفلت من يد الحزن وكف القدر لكي تعيش على ضوئه ذكريات تلك الشقيقة الراحلة .

وكأن الطفلة كانت قد سرقت من أمها وهي تموت كل جمالها : شعرها الكستنائي وعينيها المصولتين ، وذكاءها الوقاد وروحها الخفيفة ونظراتها الحالمة ، وغدت سنية تشرب هذا الحسن في كأس القبل وتخال أنها تقبل الابنة والأم معاً .

والشقة التي كانت تسكنها في أحد البيوت التي تملكها ، قد غدت صومعة أقامتها لتعبد فيها ذكريات إنعام ولتحرق لابنتها حياتها بخوراً وتقضي العمر في هذه العبادة .

والبسمة البريئة على ثغر عدالات والنظرة الشاكرة في عينيها واللثغة الساحرة في شفتيها كانت العزاء الوحيد للحسناء الزاهدة في متع الحياة .

وكان الأستاذ عبد المجيد المحامي الذي يحضر ليعطيها نصيبها من إيراد الأملاك ، وسامي زوج أختها الذي نسي زوجه وتزوج من أخرى والذي يحضر ليرى ابنته حيناً ولكي يقترض منها لتقود أحياناً ولم يفكر في رد ما اقترض ولن يفكر في ذلك على التحقيق . هنان كانا الرجلين الوحيدين اللذين تطأ أقدامهما هذه الصومعة .

وظل نهر الأيام يجري وعلى صفحته تسبح سنية وعدالات ، وكانت الأخيرة تتفتح كالزهرة وتنمو كالغصن النضير وسنية تظلها وتحنو عليها كالسرحة الزكية وتتعجل الأيام كي تراها عروساً ذات بعل وأماً لأولاد .

وحين بلغت عدالات السادسة عشرة ، وانقطعت عن الدراسة أنحت الثياب الأنيقة والعطور الغالية من نصيبها ، ولطالما تمنت على خالتها أن تشاركها استعمال العطور أو أن تجاريها في أناقة الملبس فكانت تبتسم لها وتقول : « لقد كبرت يا بنيتي العزيزة » فتضحك عدالات وتقول : « حقاً ، لقد نسيت إنك هرمت وبلغت الثلاثين » .

* * *

كان بين سكان « العمارة » التي تسكنها سنية مهندس أعزب يدعى حمدي ، يقيم مع أمه العجوز وخادم ، ولم تكن سنية قد رأته لأنها كانت قليلة الفضول قليلة الزيارة لجيرانها .

وذات مساء سمع رنين الجرس في مسكن سنية وفتحت الخادم الباب فوجدت حمدي أمامها يطلب مقابلة « الهانم » باعتبارها المالكة ليشكو إليها سوء أدب البواب في معاملة والدته المريضة ، وترددت سنية هل تسمح له بالدخول أم لا ؟ ووجدت من الأذوق أن تستقبله فإنه جارها وهو فيما تعلم رضي الخلق .

ووطئت قدما هذا الرجل الغريب بيت الأنثى الزاهدة ورأت سنية أمامها شاباً طويل القامة قوي الجسم فتان الطلعة جريء النظرات يناهز الخامسة والثلاثين ويبدو عليه عدم الاكتراث بشيء ما . ومدت يدها تصافحه فضغطها في كفه الغليظة كأنما يصافح رجلا ، وجلس قبل أن تسأله أن يجلس وخلع طربوشه ووضعه على مقعد بجانبه فتهدلت خصلة من شعره الفاحم السبط فوق جبينه الأسمر العريض ، ووضع ساقاً فوق أخرى وأشعل سيجارة ونفث دخانها عقدا في الهواء وبدأ يتكلم ، وأخذت سنية تصغي لكلماته ثم تعلقت نظراتها بشفتيه المتلئتين الحمراوين تلتقيان وتنفرجان وهو يتكلم ولم تعد تنصت إلى الألفاظ أو تتفهمها ولكنها غرقت في بحار من التيه عميقة وكانت ألفاظه تنساب كأصابع رفيقة تمزق عن ذاكرتها ستار الإهمال والكبت وتعرض عليها أحلام الشباب وتعيد إليها الشعور بتفاهة حياتها وحاجتها إلى الحياة الحافلة المليئة بحنان امرأة وعطف رجل .

وشعرت بالخجل واحمر خداها وخشيت أن يكون قد اطلع على مجرى أفكارها ولكنه كان ما يزال يتكلم وينفث الدخان من أنفه الجميل وفمه المتلئ بعد أن يكون قد ملأ به صدره العريض وأحست أنها رأته قبل ذلك ، من سنين عديدة بل من أجيال عديدة ، إن صوته ليس غريباً عنها ، وهذه الملامح طالما رسمتها يد

الف على لوح خيالها . وعادت تنظر إلى شفتيه تنفرجان وتلتقيان وخيل إليها أنهما فى كل انفراجة والتقاء إنما تتهيآن لقبلة أو تفرغان من قبلة . وكبحت جراح نفسها وأنصتت إلى كلامه وسمعته يسألها هل يرضيها ما فعله البواب ، ولم تكن قد فهمت شيئاً مما قال ، ولكنها وعدته بأنها ستنزل به العقاب ؛ ونهض قائماً وهو يعتذر من إزعاجه إياها ، ولكنها أكدت له العكس ورجته أن يبلغ تحياتها وأسفها وتمنياتها إلى والدته . فى تلك الليلة لم تنم ، بل عادت بذاكرتها إلى حياتها كلها الفارغة من المتع وظلت تستعيد منظر الشفتين المتلئتين والعينين اللامعتين الواثقتى النظرة . إن عينيه تلقيان بذور الحناءة فى حقل عمرها الأجرد ، وشفتيه ترسمان بحركتهما السريعة خطوط حياة راقصة سعيدة تتمناها . لماذا ولدت ولماذا تعيش ؟ لقد طالما حيرها هذا السؤال فكانت تجيب بأنها تعيش لعدالات . أما الآن فقد اهتدت إلى الجواب الصحيح . لقد قرأته فى عينيه وسمعته فى رنين ألفاظه ، إنها خلقت له وإن حياتها وجدت لكى ترتبط بحياته .

واندفعت إلى خاطرها صور كثيرة ، إن نظراته إليها كانت أكثر من مجرد نظرات ، كان فيها توسل وأمر ، وطاعة وعصيان ، ومنى وأمل ، وفيها دليل هوى ونجوى غرام . وسألت نفسها هل يتزوجها ، وضغطت قلبها أصابع الفرح حين طاف به هذا السؤال وأجابتها نفسها : ولم لا ؟ لعله لم يحضر إلا ليراك ، وقد اتخذ من قصة البواب ذريعة لذلك . تذكرى نظراته وابتسامته وضغطه يده على يدك وعادت تتساءل « وهل أرضى به » فأجابتها نفسها « نعم ، أتظلين عانساً طول العمر ؟ أم هل تظنين أن كل الرجال أدنياء كسامى زوج إنعام . أما تتوقين إلى رؤية أطفال لك يملأون بيتك بهجة . « ولكن أهذا هو الحب من أول نظرة » فوجمت نفسها قليلا وأجابت « نعم . بل كلا . هذا ليس حبا . إنه اللهفة التى تغمر الظمآن إذا أشرف على النبع الفرات ، والنشوة التى تعمر قلب الضارب فى الصحراء إذا اهتدى إلى الواحة ، والراحة التى تفيض على الساهد إذا أوشك الكرى أن يغمض جفنيه . « وعدالات ما يكون شعورها إذا تزوجت ؟ » وللمرة الأولى تغيرت نظرتها إلى عدالات . لماذا تحطم هى حياتها لكى تسعد عدالات ؟ إن إنعام لم تظل عانساً وهى تربيها ، فلماذا تبقى هى عانساً من أجل ابنة إنعام ؟ يكفى عدالات ما رأت من حنان ، ويكفيها أنها ستظل لها كما كانت دائما ولكنها لن تحرم نفسها ليشبع الآخرون ، ولن تكون الشمعة التى تحترق وعلى نورها تنصب العناكب شباكها وفى نارها تموت الفراشات الراقصة . وأغمضت عينيها ونامت ورأت نفسها فى المنام ترف إلى حدى .

* * *

وتكررت زيارات حدى تصحبه والدته ، فنجلس الجميع ومعهم عدالات يسمرون ويتحدثون . وأخذت سنية تبالغ فى التأنق وامتلأت ثقة بنفسها فتوردت وجنتاها وزادنشاطها والتمع عينيها الجميلتين وطفقت تلقى على حدى نظراتها الحنون وتوسد نظراته إليها أجفاناً ذابلة بقظة . وكانت تتلقى ضغطة يده على كفها كأنها تأكيد لعهدهما وميثاق أبدى .

وفى ذات أصيل جاءت أم حدى بمفردها وحيت وقالت : إن حدى يسره أن يصاهر أسرتها الكريمة . فتوردت وجنتا سنية وخفق قلبها وكادت تثب من الفرحة الكبرى التى غمرت كيانها وواصلت أم حدى الحديث قائلة «وهو لذلك يطلب يد عدالات» .

ووجمت سنية وأصابها تبلد غريب ، ولأول مرة أحست أن عدالات الطفلة النادرة قد أصبحت مزاحمة خطيرة . وعجبت من نفسها كيف قابلت النبأ بهدوء وكيف ودعت الضيفة فى ثبات ووعدتها وعداً جميلا بعد أن تخاطب أبا عدالات فى الأمر . وعادت إلى غرفتها وسبحت فى يأس مرير . إنها تمنت أن تعيش بين يديه فكيف فر منها إلى طفلتها الصغيرة ؟ أتكون عدالات زوجة أفضل منها وهى الفتاة الطائشة الرعناء . وكبحت جماح غيرتها العنيفة أن شقيقتها إنعام قد أطلت من وراء الغيب تسألها الرفق بابنتها وتهددت سنية وملأ وأسها عزم جديد .

« لقد تمنيت أن أرى أولاده منى ، وقد استجاب الله نصف الأمنية . إن أبناءه من عدالات سيكونون أبنائى ، وسأشرف على تربيتهم كما أشرفت على تربية أمهم »

« ما الذى تغير فى حياتى ؟ سأعيش بقربه ، وسأراه دائماً ، وسأحنو عليه حنوى على عدالات . إن الحجر الصغير الذى ألقى فى نهر حياتى الهادىء قد انداحت له الدوائر ، ولكن سطحه سرعان ما عاد إلى هدوئه وسيظل يجرى فى الصحراء التى قدر له أن يجرى فيها حتى النضب » . « لقد عشت شبابى زاهدة ، وكثيرات غيرى قد فررن من مثل هذا الألم إلى الدير ، فلم لا أصبح راهبة بلا دير ؟ »

(إسكندرية) إدوار عنا سعد

محكمة ميت غمر الأهلية

إعلان بيع . نشرة ثانية فى القضية المدنية ن ١١٢٧ سنة ١٩٤٥

فى يوم الاثنين ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى بسراى محكمة ميت غمر الأهلية سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه ملك إبراهيم السباعى عباس من بشلا مركز ميت غمر دقهلية وفاء لمبلغ ٢٠ و٧٦٤٠ قرشاً صاغ وما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ٢٠ جنيه مصرى بخلاف ما يستجد من المصاريف وقدرها ٦ ج و٢٠٠ مليم

وهذا البيع بناء على طلب الشيخ إسماعيل محمد وحسن من بشلا مركز ميت غمر ونفاذا لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٣ ابريل سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة المنصورة الكلية الأهلية بتاريخ ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٤٥ ن ١٨٥ جزء ٨٤ . وهذا بيان العقار الكائن بزمام بشلا مركز ميت غمر ٤٠ دابر السياحة ش٣ ص ١٧٤ على الشيوع فى منزل مساحة ٨٩ متر مربع بزمام بشلا مركز ميت غمر يحد من بحرى محمود سعيد سليمان وشرق أحمد لطف الله وقبلى شارع خصوصى وغربى شارع وفيه الباب ٤٠ متر فقط أربعون متراً لاغير على الشيوع فى المنزل السالف الذكر

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه وشروط البيع وجميع الأوراق مودعة بملف القضية لمن يريد الإطلاع

كاتب البيوع

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية التى تنشدها كل من يرمى إلى التوسع فى أعماله وكل تاجر يسعى إلى رواج تجارته .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد

ولزيادة الاستعلام إتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة - بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)